سوريا ما بعد سقوط نظام الأسد | شهادات | مقالات بارزة

شهادات ناجين وناجيات من مجزرة الساحل (٤)

مشاهدات متطوّع في الإغاثة .. وحده الشيخ من يقرّر من عليه أن يُكمل الحياة ومن عليه أن يودّعها

ابتداء من يوم الخميس 6 آذار/ مارس 2025 ولمدة ستة أيام تالية، تعرّضت مناطق ذات غالبية علوية في الساحل السوري إلى هجوم منظّم يحمل ملامح التطهير العرقي من مجموعات مسلّحة محسوبة على الحكومة المؤقتة في دمشق، راح ضحيته قرابة 1700 مدنيّ من أطفال ونساء وشيوخ ورجال، حسب المرصد السوري لحقوق الإنسان، من دون إعلان السلطات الرسميّة عن عدد القتلى. هنا شهادة متطوع في الإغاثة.

12 نيسان 2025

روزا ياسين حسن
كاتبة وروائية سورية مقيمة في ألمانيا، صدر لها عدد من الروايات منها: "أبنوس"، "حراس الهواء"، "بروفا"، "نيغاتيف"، "الذين مسّهم سحر"، "بين حبال الماء". ترجمت أعمالها إلى عدد من اللغات، منها الألمانية والفرنسية والإيطالية، إضافة إلى ترجمة فصول إلى الإنكليزية والفلامنكية.

موقع "درج" ينشر شهادات ناجيات وناجين من المجزرة تباعاً بحسب ما وثّقتها ودوّنتها الكاتبة السورية روزا ياسين حسن، التي تنشر الشهادات بالإنكليزيّة على "حكاية ما انحكت"، وفي وقت لاحق بالعربية.

***

راح الشيخ القادم مع المجموعة المسلّحة يتمشّى أمام صفّ من شباب القرية تمّ جمعهم من بيوتهم وجرّهم أسرى إلى الساحة. يتهادى أمامهم، يناظرهم، يتأمل في وجوههم ثم يدلّ على أحدهم كي يطلق عناصره النار عليه فيتكوّم في أرضه، كمن يلعب حكرا بكرا! ذاك الشيخ يومذاك وحده من كان يقرّر، كيفما اتفق، من عليه أن يُكمل الحياة ومن عليه أن يودّعها.

قابلني أحد الناجين من المجزرة بحكايته هذه، بعد وقت قليل من وصولنا إلى قرية الشلفاطية في ريف اللاذقية. يحمل قصاصة ورقية عليها بعض أسماء ضحايا الساحة: فادي وعلي أصلان، عفيف أصلان وولديه، قتيبة القدار، نبيل حسون، نبيل عثمان وحسن قيس محلا...

حين وصلتُ إلى ساحة القرية مع فريق الإغاثة الذي أعمل معه، كنّا أول مجموعة وصلت القرية بعد يومين فقط من المجزرة التي حصلت في 8 آذار 2025. الدم ما يزال يملأ أرض الساحة شاهداً على حكاية الشاب الناجي. نحن مجموعة متعدّدة من سبعة متطوعين ومتطوعات من كل الطوائف، أنا من اللاذقية ورفيقي من كفرنبل، لجأ مع عائلته إلى اللاذقية بعد هجوم نظام الأسد على المدنيين فيها. قال لي: من عاش الظلم والقهر لا يمكنه أن يظلم غيره ويقهره، لذلك أنا معكم هنا.

رائحة الموت منتشرة، الهواء ثقيل بارد والصمت يعمّ المكان بعد العاصفة. جلّ المحال التجارية الغذائية والدوائية وغيرها في الشلفاطية محروقة، التي لم تُحرق منهوبة عن بكرة أبيها. البيوت، السيارات والآليات الزراعية محروقة كاملاً على أطراف الشوارع وفي الأراضي الزراعية المحيطة.

راتب شعبو: مجازر الساحل أحدثت صدعاً مبكّراً في أسس بناء دولةٍ وطنية بعد نظام الأسد

02 نيسان 2025

أنزلنا السلل الغذائية وكراتين الأدوية التي أحضرناها معنا وسط الساحة. المكان قرية أشباح، على الرغم من محاولاتنا إيصال صوتنا للأهالي كي يأتوا ليأخذوا المعونات، وانتشار عدد من أطبائنا وطبيباتنا بين البيوت لمعاينة المرضى والجرحى، إلا أن الناس لم تجرؤ على الخروج من بيوتها إلينا، عند غالبيتهم قناعة أن لا أحد يخرج من بيته إلا ويتعرّض للقتل. معظمهم لا يريدون التعامل مع أي غريب يأتي، حتى لو كان يريد مساعدتهم[1].

> حين وصلتُ إلى ساحة القرية مع فريق الإغاثة الذي أعمل معه، كنّا أول مجموعة وصلت القرية بعد يومين فقط من المجزرة. الدم ما يزال يملأ أرض الساحة شاهداً على حكاية الشاب الناجي. نحن مجموعة متعدّدة من سبعة متطوعين ومتطوعات من كل الطوائف، أنا من اللاذقية ورفيقي من كفرنبل، لجأ مع عائلته إلى اللاذقية بعد هجوم نظام الأسد على المدنيين فيها. قال لي: من عاش الظلم والقهر لا يمكنه أن يظلم غيره ويقهره، لذلك أنا معكم هنا.

الوضع مأساوي، القرية بدون أكل ولا دواء ولا مياه منذ أيام طويلة، لكن الخوف يومذاك في الشلفاطية كان أقوى بكثير من أية حاجة.

حملنا السلل الغذائية والأدوية ورحنا ندور بين البيوت وندقّ ع الأبواب. منهم من رفض أخذ المساعدة أو الحديث معنا، خوف يخرج من العيون ويجتاحنا. دخلت إحدى زواريب الضيعة الضيّقة لأتفاجأ بمجموعة من الأطفال يلعبون بجانب أبواب بيوتهم. تجمدوا في مكانهم مرتعبين، طفلة منهم بدأت بكاءً هيستيرياً، وجهها بعينيه المفتوحتين ينضح برعب لا

يمكن وصفه، هنا انتقل البكاء إلى المجموعة الباقية من الأطفال معها. اعتقدوا أننا أولئك الأغراب عائدون من جديد لقتلهم، فالقتل كان عشوائياً هنا في القرية، دخلوا بيوتاً وقتلوا أهلها، ودخلوا بيوتاً سرقوها نهبوها وحرقوها. جحافل همجية عاثت دماراً وقتلاً ونهباً!

آية، التي لم تتجاوز السادسة من عمرها، استمرت تبكي بهيستيريا وهي في حضن أبيها، لم تشفع لي لا علبة العصير ولا البسكوتة التي أعطيتها لها ولا كلمات تحبّب حاولت أن أُطمئنها بها في إيقاف بكائها. بيت أهل آية مثقّب بالرصاص، وعلى مدار ساعات ظلّ الأب يحتضن جسد ابنته ممدّدين على الأرض كي لا يصيبها الرصاص الطائش. يومذاك دخلت مجموعة من المسلحين البيت، كسّروا كل ما فيه من أثاث، سرقوا كل شيء، المال الذهب الهويات الشخصية وحتى سندات الملكية، لكن لم يقتلوهم. الأب ينشج طيلة الوقت ولا مجال لتهدئته، رحت أقبّل رأسه عسى أن يهدأ على الأقل قبالة الأطفال.. عبثاً. رفيقي من كفرنبل راح يبكي معه. قلت له لدينا لكم سلة غذائية، فصرخ في وجهي حانقاً: ما بدي سلل غذائية، بدي اطلع من هذا البلد. كيف ستنسى آية يوماً ما حصل؟!

المبادرة التي قمنا بها كانت أساساً بسبب غياب المبادرات، جمّعنا بعضنا مجموعة من كل الطوائف لإغاثة أهالي الساحل المنكوب بعد المجازر التي استمرت منذ الخميس 6 آذار 2025 ولمدة أسبوع كامل. خرجنا بمرافقة وحماية من قبل الأمن العام. قبل ذلك كنت قد حضرت جلسات الإعداد لمؤتمر الحوار الوطني الذي دعت إليه الحكومة الجديدة، التقيت مع الرئيس المؤقت أحمد الشرع حين أتى اللاذقية للقاء الناس هنا. كان رأيي واضحاً: الكلام جميل لكنها وعود ونريد أفعال. وكانت أفعالاً لم نكن لنتخيّلها.

على مشارف القرية في منطقة زراعية ثمة بيتان متلاصقان لأخين من عائلة زمزم. كان على الأخ الناجي أن يراقب كل ما حدث من شباك بيته المطلّ على باحة بيت أخيه ابراهيم، أن يسمعه ويراه يُقتل بأم عينه، دون أن يقدر على إخراج نأمة. دخل خمسة عناصر مسلحة يومذاك باحة البيت، فأخرج الأخ صاحب البيت كراسي بلاستيك للمسلحين وعدة كؤوس من الشاي، راحوا يتحدثون وقالوا له: نحن قادمون لنحميكم من الفلول ومن الإرهابيين، نحن كلنا شعب واحد.. لا تخافوا!

- الله يحميكم ويقويكم.

كانت آخر جملة ينطق بها، فقد التفت إليه أحد المسلحين وهم يغادرون الباحة وأطلق عليه عدة رصاصات أردته قتيلاً قبل أن يكملوا الدخول إلى القرية. بعد قليل وعلى مرمى بصره رآهم يرمون قنابل على بيتين، فاحترقوا بشكل كامل. ثمة بيوت دخل المسلّحون إليها وأصحابها ليسوا فيها، لا مال ولا ذهب ليسرقوه فصاروا يفتحون جرار الغاز حتى ينتشر الغاز فيها ثم يخرجون ويرمون قنابل كي يحترق البيت كاملاً. في أحد تلك البيوت عثرت على جزء من غرفة لم يطالها الحريق، لا أحد يعرف ما هو مصير الأسرة، قُتلت أم هربت أم اختطفت. هناك في الزاوية لاقيت مجموعة من الصور لأطفال البيت، دسستها في ثيابي وجلبتها معي، مجرّد فأل خير ألا يكونوا قد ماتوا، وأن يأتي يوم ألقاهم لأعيد لهم صورهم.

رفيقي من كفرنبل بقي واجماً كل الطريق، قطع الصمت بعد وقت ليقول لي: إلى متى ستظلّ عجلة القهر تدور داعسة هذا البلد وناسه؟

السؤال نفسه أعاده على مسامعي حين عدنا من زيارة قرية أخرى اسمها عين العروس في ريف اللاذقية.

ما حدث من مجازر في ريف اللاذقية في الأسبوع الدامي ذاك متشابه إلى حدّ كبير وفي معظم القرى، عدى عن أن مساحات واسعة من الحراج والأراضي الزراعية والأشجار سوداء متفحمة على جانبي الطريق. عند مفترق الطريق الذاهب باتجاه القرداحة توجد سيارتان للأمن العام متفحّمتان بالكامل. فريقنا هذه المرة كذلك كان أول فريق إغاثي يصل القرية المنكوبة.

فصل الموظفين في الساحل السوري.. غياب "العصا السحرية" يرافق الحكومات السورية!

25 آذار 2025

الطريق العام الواصل إلى مدينة القرداحة يقطع قرية عين العروس إلى ضفتين، والبيوت تتوزّع على طرفي الطريق. كل البيوت تلك تعرّضت للضرر، أكثر من 25 بيتاً تمّ حرقه بشكل كامل والبقية بشكل جزئي، عددتها بيتاً بيتاً. كل المحلات التجارية تم نهبها وثم حرقها. أساليب الحرق كانت بالغالب ذاتها، يفتحون جرة الغاز ويتركونها قليلاً حتى يمتلئُ المكان بالغاز ثم يرمون القنابل من الخارج ليحترق كامل البيت أو الدكان.

سكان البيوت الواقعة إلى الداخل، بعيدة نسبياً عن الطريق العام، استطاعوا بمعظمهم الهرب باتجاه مطار حميميم القريب، القاعدة العسكرية الروسية جنوب شرق اللاذقية. ثمة ناس هربت إلى الحقول والأراضي الزراعية، أما من لم يستطع مغادرة بيته أو كان قريباً من الطريق العام فقد تعرّض للضربة الأكبر. عائلة الجهني مثلاً كان فيها عاجزان قتلا في بيتهما، أما عائلة أصلان فقد صُفيت بشكل كامل، الرجل ووالدته وزوجته وابنته جوليا. اللافت للنظر أن البيوت التي سُرقت أصرّ المسلحون على سرقة أوراق الملكية منها وليس الذهب والمال فحسب[2].

> المكان قرية أشباح، على الرغم من محاولاتنا إيصال صوتنا للأهالي كي يأتوا ليأخذوا المعونات، وانتشار عدد من أطبائنا وطبيباتنا بين البيوت لمعاينة المرضى والجرحى، إلا أن الناس لم تجرؤ على الخروج من بيوتها إلينا، عند غالبيتهم قناعة أن لا أحد يخرج من بيته إلا ويتعرّض للقتل. معظمهم لا يريدون التعامل مع أي غريب يأتي، حتى لو كان يريد مساعدتهم.

ولأننا نعمل في الإغاثة، ولأن الحياة هي التي تهمّنا وليس الموت، فقد حاولنا أن نركّز جهودنا على الناس التي بقيت، لم نحاول معرفة عدد الضحايا ولا أسمائهم لكن الموت كان مرافقاً لنا في كل لحظة، قوائم القتلى التي تُدفع في وجهنا، حكايات الموت، تفاصيل المجزرة وأخبارها، وعيون مفجوعة تلاحقنا في كل لحظة قضيناها في القرية. إلى جانب المدرسة التي

تتوسط القرية تقريباً أنشأنا نقطة طبية مرتجلة، لكن الناجين من أهل القرية لم يجرؤوا على الخروج من بيوتهم أو حتى القدوم إلى النقطة الطبية وهم في أمس الحاجة إليها. هنا أيضاً صرنا ندور بين البيوت، نرجوهم أن يأتوا للفحص أو يأخذوا بعض الدواء، فهناك نقص شديد في الأدوية.

- نحن عزّل، عاملو إغاثة.. ليس معنا لا عناصر أمن عام ولا مسلحين..

نؤكد لهم عبثاً، لكن هناك أهالٍ لا يبيتون حتى اللحظة في بيوتهم، وإن باتوا يبقون متحفّزين بحيث إذا سمعوا أي صوت غريب يركضون إلى الحقول.

- ماذا علينا أن نفعل هل نبقى في بيوتنا أم نهجّ من القرية؟

سألتني امرأة عجوز فجأة! الجميع مقتنع أن ما حصل من مجازر يمكن أن يتكرّر في أية لحظة.

شكل القتل هنا في عين العروس كان مختلفاً. لا أحد يعرف لمَ كان أداء هذا الفصيل المسلّح مختلف هنا عن أداء بقية الفصائل في بقية القرى التي كانوا يقتلون الناس في بيوتها أو أمام بيوتها. هنا أخرجوا الناس من بيوتها إلى الحقول وصفّوها بالرصاص هناك. الأمر الذي جعل الناس في القرية يشهدون عدداً أقل من جرائم القتل أمام ناظرهم. لكن هناك مئات الضحايا الموثقون والكثير لا يعرفون أين هم، فالجثث مازالت في الحقول ولا أحد يجرؤ على التجوال للبحث عنها. هناك إلى اليوم أعمال قنص ولا أحد يعرف من الذي يقوم بالقنص! لكن في كل الأحوال، ما حدث هنا في هذه القرية مشابه لما حدث في معظم القرى التي استهدفت، هجوم لوحوش همجية أتت كجحافل التتار لم تميّز بريئاً أو مدنياً، لم يسألوا عن سلاح أو عن مهنة من قتلوه، الجميع كانوا عرضة للقتل شيوخ أطفال نساء عُزّل، ثمة عائلة من إدلب تعمل في الأراضي هناك قُتلت عن بكرة أبيها في الحقول.

[في الهوية السنية لسوريا الجديدة: محكومون بالأمل، أم بالموت، أم بكليهما؟]

24 آذار 2025

- والله نحن منعرف أنهم كانوا مظلومين بس ليش رجعوا ظلمونا؟ أنا بعرف أن المجروح أبيجرح!
- مين هدول يا خالتي؟ اللي قتلوكم مجرمين وليسوا أهل البلد

أجابها رفيقي من كفرنبل، وكانت امرأة مع أربعة أطفال، قتلوا زوجها لكن أمام بيته حين خرج ليسألهم عمّا يريدون. هزّت برأسها وصمتت. هذه المرأة حُرقت المكتبة التي تملكها قبالة المدرسة، وبقيت بلا معيل ولا مصدر رزق.

رفيقي ذاك قال لي وقتها: كأنها أمي حين اضطررنا للهرب من كفّرنبل بعد هجوم نظام الأسد علينا.

نعم السيناريو نفسه يتكرّر ويتكرّر، كما يتكرّر معه طغيان الخوف والقهر. لا أحد يعرف كيف ستُرمّم الأرواح كما البيوت، كيف سيعودون للعيش فيها؟ ما تحتاجه قرى الساحل ليس سيارات تحمل سللاً غذائية وبعض كراتين أدوية، الأمر أكبر من ذلك بكثير، وأكبر من قدرة مجموعة إغاثية على فعله، كما حصل للمنكوبين بعد الزلزال أو موجات اللاجئين، وحدها جهود دولية أو أممية قد تنجح في لملمة شروخ نفسية عميقة، ترميم البيوت كما البشر، لربما أُعيدت ثقة الناس ببلد قادم يخشونه. غابت الشمس علينا ونحن في القرية، فغرقنا في ظلام شديد، ذلك أن المنطقة منذ أيام طويلة بدون كهرباء ولا ماء، من لديه بئر ماء في الحقول راح يوزّع الماء على جيرانه. غرقنا في ظلام شديد يشبه ظلاماً لفّنا في دواخلنا، ورحت أعيد بداخلي ما قاله لي رفيقي من كفرنبل: إلى متى ستظلّ عجلة القهر تدور داعسة هذا البلد وناسه؟

يقال إن ثمة رحلات تغيّر حياة البشر، تفتح الأبواب على عوالم جديدة، لقد غيّرت تلك الرحلات حياتي بالفعل لكن فتحتها على كوابيس لا أعرف متى سأستيقظ منها!

[1] . تكرّر ذلك في معظم قرى الساحل المنكوبة، خصوصاً في الأيام القليلة التالية للمجازر، الناس خائفة من كل غريب حتى عمّال الإغاثة، وبعضهم كان يخاف أن يكون الطعام مسموماً.

[2] . مصادرة سندات الملكية للمدنيين أمر حدث سابقاً من قبل قوات النظام السابق في العديد من المناطق، على سبيل المثال إثر مجازر بانياس والبيضا في العام .2013

*يمكن قراءة الجزء الأول من الشهادات بعنوان "شهادات ناجين وناجيات من مجزرة الساحل (١).. لمن سأقول بعد اليوم صباح الخير!" على الرابط هنا

*يمكن قراءة الجزء الثاني من الشهادات بعنوان "شهادات ناجين وناجيات من مجزرة الساحل (٢).. عن ميلا التي قتلوها فلم تمت، وميرا التي لم يقتلوها فماتت! أطفال شاهدون على مجزرة" على الرابط هنا

*يمكن قراءة الجزء الثالث من الشهادات بعنوان "شهادات ناجين وناجيات من مجزرة الساحل (٣).. اختصاصية نفسية بين أكوام الجثث: كيف سأُشفى من عيونهم" على الرابط هنا

شارك المقالة

مقالات متعلقة

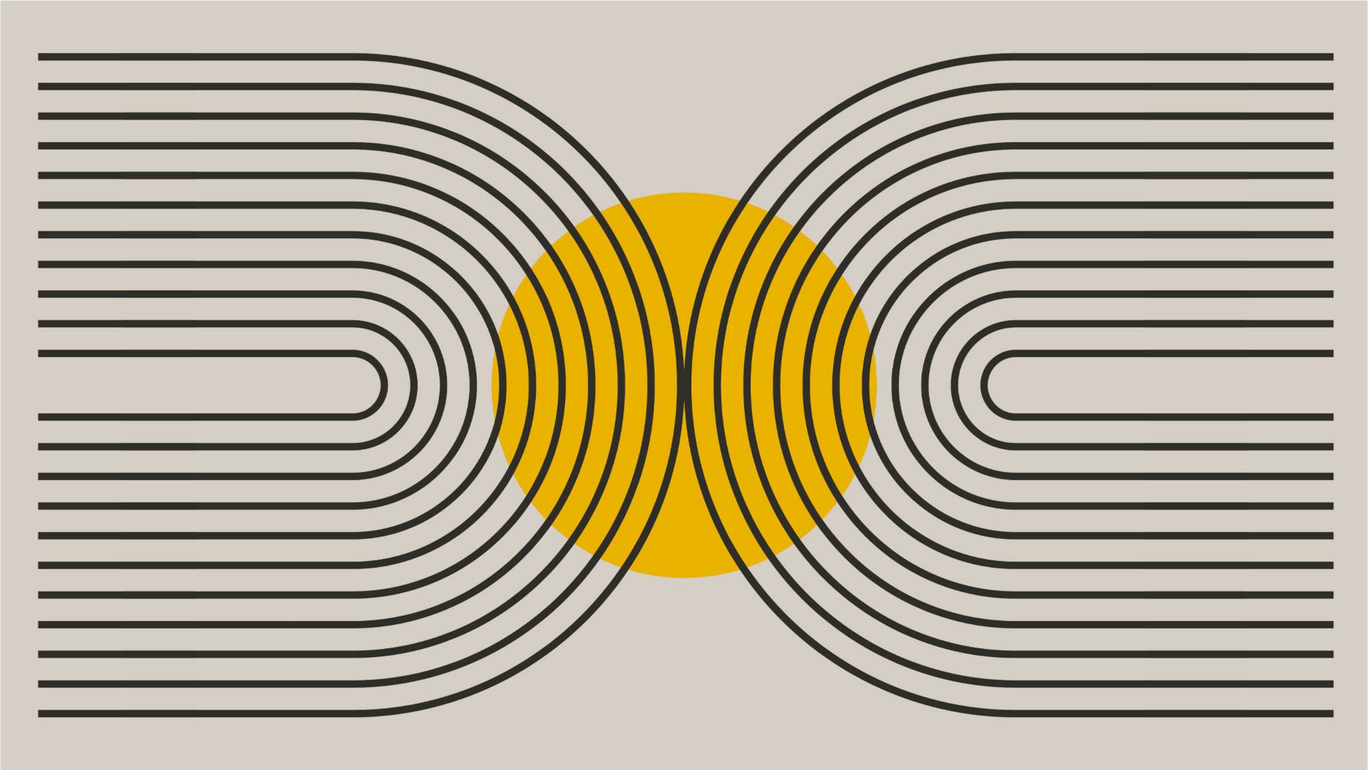

بقعة ضوء على المجتمع المدنيّ السوريّ: الحلقة الأولى

08 نيسان 2025

دمار الغابات في الساحل السوري

16 كانون الثاني 2025

الساحل السوري بعد سقوط النظام السوري

09 كانون الثاني 2025

عن سوريا التي زرتها بعد سبعةٍ وعشرين غياباً

07 نيسان 2025

الوسوم: اللاذقية | شهادات ناجين | قرية الشلفاطية | قرية برابشبو | قرية عين العروس | مجزرة الساحل | ناجيات

حكايات
بروفايل
شهادات
تحقيقات
استقصاء
سوريا تكتب
سياسة
الاقتصاد
ثقافة
جندر
بيئة
رأي
تدوين
Kurdî
من نحن
المجلة
مينا غاليري

هذا المصنف مرخص بموجب رخصة المشاع الإبداعي. نسب المصنف : غير تجاري - الترخيص بالمثل 4.0 دولي

تصميم اللوغو : ديما نشاوي
التصميم الرقمي للوغو: هشام أسعد